﴿ الرَّحْمَنُ عَلَّمَ الْقُرْآنَ خَلَقَ الْإِنسَانَ عَلَّمَهُ الْبَيَانَ ﴾

(الرحمن: 1_4)

المحاضرة السادسة: الاستعارة والكناية

تمهيد:

قسّم علماء البلاغة المجاز اللغوي إلى قسمين: مجاز مرسل واستعارة ، وقد تعرّفنا فيما سبق من محاضرات على المجاز المرسل ، وسنحاول في ضوء هذه المحاضرة التطرّق إلى القسم الثاني والمتمثّل في **الاستعارة** ، وذلك من خلال الوقوف عند مفهومها وتعداد أقسامها ، وبيان أسرارها البلاغية ، إلى جانب الحديث عن **الكناية**: مفهومها ، أقسامها وبلاغتها.

أولا: الاستعارة

1. تعريفها:

- الاستعارة في **اللغة**: رفع الشيء وتحويله من مكان إلى مكان آخر ، يُقال استعار فلان سهما من كنانته: رفعه وحوّله منها إلى يده. وهي طلب شيء ما للانتفاع به زمنا ما دون مقابل على أن يردّه المستعير إلى المُعير عند انتهاء المدّة الممنوحة له أو عند الطلب.
- في **الاصطلاح**: هي استعمال اللفظ في غير ما وُضِع له في اصطلاح به التخاطب لعلاقة المشابهة مع قرينة صارفة عن إرادة المعنى الموضوع له في اصطلاح به التخاطب ، وهي من قبيل المجاز اللغوي ، وأصلها تشبيه حُذِف أحد طرفيه المشبه أو المشبه به ، ووجه الشبه والأداة. وقد عرّفها الجاحظ بقوله: الاستعارة تسمية الشيء باسم غيره إذا قام مقامه وعرّفها ابن المعتز بقوله: هي استعارة الكلمة لشيء لم يُعرف بها من شيء قد عُرِف بها.

2. أركان الاستعارة أربعة:

- اللفظ المستعار.
- المعنى المستعار منه ، وهو المشبّه به.
- المعنى المستعار له ، وهو المشبّه.

- **مثال توضيحي:**

كقوله تعالى:﴿ الر كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَى صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ﴾ (إبراهيم: 1)

فالمستعار له: هو الضلال والهدى ، **والمستعار منه**: الظلام والنور ، **ولفظ** الظلمات والنور يُسمى **مستعارا** ، **والقرينة**: كتاب أنزلناه إليك.

3. **أقسامها**: تنقسم الاستعارة انقساما أوّليا إلى قسمين:

❖ **استعارة في اللفظ المفرد:** وهي التي يكون المُستعارُ فيها لفظا مفردا.

❖ **استعارة في المركّب:** وهي التي يكون اللفظ المُستعارُ فيها كلاما مركّبا من عدّة ألفاظ مفردة.

أ_ الاستعارة في اللفظ المفرد:

يُقسّم علماء البلاغة الاستعارة في اللفظ المفرد باعتبارات مختلفة ، نذكر منها:

- **باعتبار الطرفين:** تنقسم الاستعارة إلى:

1. **تصريحية:** وهي ما صُرِح فيها بلفظ المشبّه به ، أو ما استعير فيها لفظ المشبّه به للمشبّه.

- **مثال:** قال تعالى: ﴿ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ (الأعراف: 157)

حيث شُبّه الهدى بالنور ، فحُذِف المشبه ، وصرّح بلفظ المشبّه به ، والقرينة حالية تُفهم من سياق الكلام.

2. **مكنية:** وهي ما حُذف فيها المشبّه به أو المُستعار منه ، ورُمز له بشيء من لوازمه.

- **مثال:** قال تعالى: ﴿ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا ﴾ (مريم: 4)

حيث شُبّه انتشار الشيب في الشعر باشتعال النار ، فحُذِف المشبه به ، ورُمِز له بأحد لوازمه وهو الفعل (اشتعل) على سبيل الاستعارة المكنية.

- **باعتبار اللفظ:** تنقسم الاستعارة إلى:

1. **أصلية:** هي ما كان اللفظ المُستعار أو اللفظ الذي جرت فيه الاستعارة اسما جامدا غير مشتق.

- **مثال:** قال المتنبي يصف دخول رسول الروم على سيف الدولة:

وأقبل يمشي في البساط فما درى إلى البحر يسعى أم إلى البدر يرتقي

حيث شبّه الممدوح بالبحر والبدر؛ فحذّف المشبّه، وصرّح بالمشبّه به، والقرينة (أقبل يمشي في البساط)، فكلا الاستعارتين **تصريحيتين**، وإذا تأمّلنا اللفظين المستعارين (البحر والبدر) وجدناهما اسمين **جامدين**، وعليه فالاستعارتين **أصليتان**.

2. **تبعية:** وهي ما كان المُستعار أو اللفظ الذي جرت فيه الاستعارة اسما مُشتقا أو فعلا.

- **مثال:** قال الشاعر:

عضّنا الدهر بنـــــــابه ليت مـــــــا حلّ بنابه

حيث شبّه وقع المصائب بالعضّ؛ فخذف المشبّه، وصرّح بلفظ المشبه به ، والقرينة (الدهر) واللفظ الذي جرت فيه الاستعارة (**عضّنا**) **مشتق**، وعليه الاستعارة **تبعية**.

- **باعتبار الملائم: تنقسم الاستعارة باعتبار الملائم إلى:**

1. **مرشّحة:** وهي ما ذُكِر معها ما يُلائم المُستعار منه؛ أي المشبّه به.

- **مثال:** يقول الشاعر:

سأبكيك للدنيا وللدين أنّني رأيت يد المعروف بعدَك شُلّت

في هذا البيت استعارة مكنية أصلية، فقد شبّه الشاعر المعروف بإنسان له يدٌ تُعطي والشبه بينهما هو البذل والعطاء ، فحذف المشبّه به، ورمز له بأحد لوازمه وهو (اليد)، والقرينة إثبات اليد للمعروف، وعليه فقد استوفت الاستعارة قرينتها، مع ذلك نجد الشاعر قد ذكر معها شيئا **يُلائم المشبّه به**، وهو كلمة (شُلّت) ، لأجل ذلك فهي استعارة **مرشحة**.

2. **مجرّدة**: وهي ما ذُكر معها ملائم المستعار له ؛ أي المشبّه.

- **مثال:**

أقبلت شمـــــوس ضحى مـــــا لهنّ مُنتقب

شُبّهت في هذا البيت النساء بالشموس ، ووجه الشبه بينهما هو الإشراق ، فحذّف المشبه وصرّح بلفظ المشبه به ، فهي استعارة تصريحية ، والقرينة المانعة من إرادة المعنى الحقيقي هي كلمة (أقبلت) ، وقد ذكر الشاعر مع القرينة شيئا يُلائم المشبّه (عدم الانتقاب) فهي استعارة مجرّدة.

3. **مطلقة**: هي ما خلَت من ملائمات المستعار منه والمُستعار له ،

- **مثال**: يقول المتنبي مخاطبا ممدوحه:

يا بدر يـــا بحر يـــــا غمام يا ليث الشّرى يـــــا حِمامُ يا رجل

ففي كلّ من (بدر) (بحر) و (غمامة) و (ليث الشرى) و(حمام) استعارة تصريحية ، حيث حذف المشبّه وهو الممدوح ، وصرّح بالمشبّه به ، وهي الكلمات المذكورة سابقا ، والقرينة في كلّ استعارة هي حرف النداء. وهي **خالية ممّا يلائم** المستعار منه والمستعار له ، ولهذا تُسمّى **مطلقة.**

ب_ الاستعارة في المركّب: ويُطلق عليها اسم **الاستعارة التمثيلية**

وهي تركيب أُستعمل في غير ما وُضع له لعلاقة المشابهة مع قرينة مانعة من إرادة المعنى الأصلي.

- **مثال:** يقول الشاعر:

متى يبلغ البنيـــــان يوما تمَامه إذا كنت تَبْنـِـيه وغيرك يهدمُ ؟

حيث شُبّهت حال المصلح يبدأ بالإصلاح ثمّ يأتي غيره يُبطل ما عمله الأول اعتدادا بنفسه أو كراهة أن يُنسب الإصلاح لغيره بحال البنيان ينهض به حتى إذا أوشك على التمام جاء من يهدمه والمشابهة بين المعنى الحقيقي والمجازي هي عدم الوصول إلى الغاية في كلّ ، ثمّ أُستعير التركيب الدال على المشبّه به للمشبّه على سبيل الاستعارة **التمثيلية** ، والقرينة حالية تفهم من سياق الكلام.

- **ومن أقوال العرب:**
  - **أنت تضرب في حديد بارد:** يُستعار لمن يلّح في طلب شيء يتعذّر حصوله.
  - **قطعت جهيزة قول كلّ خطيب** :يُستعار لمن يأتي بالقول الفصل.
  - **لكلّ جواد كبوة ولكل صارم نبوة:** يُستعار لمن يُخطئ أحيانا وليس من عادة أن يُخطئ.

4_ بلاغتها:

الاستعارة من الأساليب التي تزيد الكلام حسنا وجمالا ، يقول " عبد القاهر الجرجاني " في بيان قيمتها وإعلاء شأنها بين بقية الألوان البلاغية: " فهي أمدّ ميدانا وأشدّ افتنانا وأكثر جريانا ، وأعجب حسنا وإحسانا وأوسع سعة وأبعد غورا وأذهب نجدا ، (...) نعم وأسحر سحرا ، وأملأ بكلّ ما يملا صدرا ويُمتع عقلا ، ويُؤنس نفسا ويُوفّر أنسا ".

ويقول " القاضي عبد الجبار ": " فأمّا الاستعارة فهي أحد أعمدة الكلام ، وعليها المعوّل في التوسّع والتصرّف ، وبها يتوصّل إلى تزيين اللفظ ، وتحسين النظم والنثر ".

ثانيا: الكناية

1. تعريفها:

- **في اللغة:** هي أن تتكلم بشيء وتريد غيره. يُقال: كن عن الأمر بغيره يكني كناية ؛ أي: تكلّم بغيره ممّا يُستدلّ به عليه. ويُقال: تكنّى إذا تستّر ، من كنى عنه إذا ورّى ، فأصل الكناية ترك التصريح بالشيء ، وستره بحجاب ما ، مع إرادة التعريف به بصورة فيها إخفاء ما بحجاب غير ساتر سترا كاملا.
- **في الاصطلاح**: هي اللفظ المستعمل فيما وُضِع له في اصطلاح التخاطب للدلالة به على معنى آخر لازم له ، أو مصاحب له ، أو يُشار به عادة إليه ، لما بينهما من الملابسة بوجه من الوجوه.

2. أقسامها:

يقسّم البلاغيون الكناية باعتبار المنكي عنه إلى ثلاثة أقسام:

أ_ كناية عن صفة: وهي إخفاء الصفة مع ذكر الدليل عليها

- **مثال**: قول الخنساء:

طويل النجاد رفيع العمـــاد كثير الرماد إذا ما شتـــا

فنلاحظ أنّ الخنساء عدلت عن التصريح بصفة الشجاعة والعظمة والكرم، إلى الكناية عنها ؛ لأنّه يلزم من طول حمالة السيف طول صاحبه، ويلزم من طول الجسم الشجاعة عادة، ثمّ إنّه يلزم من كونه رفيع العماد أن يكون سيّدا عظيما الشأن في قومه، كما أنّه يلزم كثرة الرماد، كثرة إحراق الحطب تحت القدور، ثمّ كثرة الضيوف.

ب_ كناية عن موصوف: وهي إخفاء الموصوف مع ذكر الدليل عليه.

- **أمثلة:** _ قوله تعالى: ﴿ وَحَمَلْنَاهُ عَلَىٰ ذَاتِ أَلْوَاحٍ وَدُسُرٍ ﴾ (القمر: 13) كناية عن السفينة.

_ موطن الأسرار: كناية عن القلب .

_ سيف الله المسلول: كناية عن خالد بن الوليد _ رضي الله عنه _

_ بلاد النيل: كنية عن مصر.

ج_كناية عن نسبة: وهي أن تذكر الصفة و الموصوف، وتذكر الدليل على اختصاص الصفة بالموصوف، أي ثبوت أمر لأمر، أو نفيه عنه، كقولهم: المجد بين ثوبيه والكرم بين برديه فهم لم يصرّحوا بثبوت المجد والكرم له، بل كنوا عن ذلك بكونهما بين برديه وبين ثوبيه.

- **مثال:** قول الشاعر:

اليمن يتبع ظلّـــــــه والمجد يمشي في ركــابه

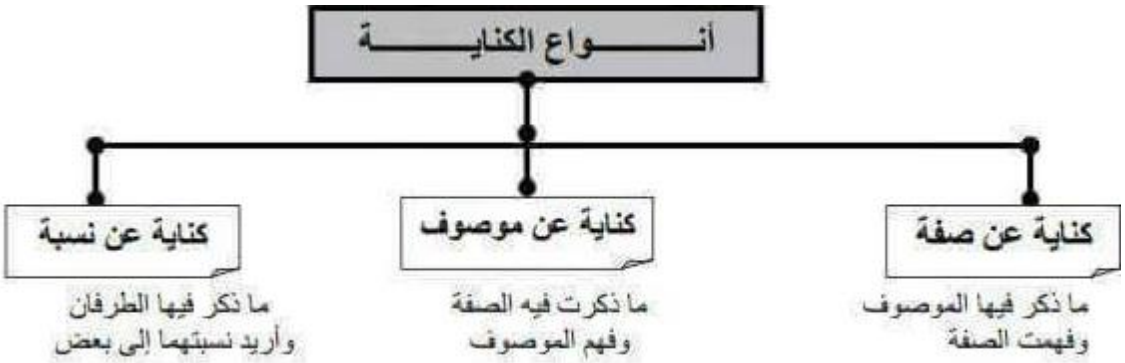

أسلوب الكناية	المكني عنه	نوع الكناية
يمشي المصري شامخ الأنف عالي الجبهة	العزة	كناية عن صفة
"لو ترى إذا المجرمون ناكسوا رؤوسهم عند ربهم"	الذل	
"وإذا بشر أحدهم بالأنثى ظل وجهه مسودا وهو كظيم "	الحزن	
إنما السالم من ** ألجم فاه بلجام	الصمت	
فلان ينظر إلى الدنيا بمنظار أسود	التشاؤم	
صديقي بابه مفتوح دائما	الكرم	
وامرأته حمالة الحطب	السعي بالغيبة ونشر الحقد	
اذا بلغ الرضيع لنا فطاما* تخر له الجبابرة ساجدينا	القوة والهيبة	
"ويوم يعض الظالم على يديه يقول يا ليتني اتخذت مع الرسول سبيلا "	الندم	
"ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك ولا تبسطها كل البسط فتقعد ملوما محسورا"	البخل التبذير	
"ولا تصعر خدك للناس ولا تمش في الأرض مرحا إن الله لا يحب كل مختال فخور "	التكبر	
لغة الضاد أجمل اللغات	اللغة العربية	كناية عن موصوف
الذهب الأسود عماد الصناعة	البترول	
نسور الجو أبطال العبور	الطيارون	
أبناء النيل أخلاقهم طيبة	المصريون	
كنانة الله	مصر	
كوكب الشرق	أم كلثوم	
"وحملناه على ذات ألواح ودسر" - ابنة اليم	السفينة	
وبناة الأهرام في سالف الدهر**كفوني الكلام عند التحدي	الفراعنة	
العفة تحت ثياب أمي	نسبة العفة إلى أمي	كناية عن نسبة
المجد يمشي في ركاب المجدين	نسبة المجد إلى المجدين	
الخيل معقود بنواصيها الخير	نسبة الخيل إلى الخير	
الجود بين ثيابه ** والمجد حول ركابه	نسبة الممدوح إلى الجود والمجد	
الفصاحة في بيانه البلاغة في لسانه	نسبة الشخص إلى الفصاحة والبلاغة	

3. بلاغتها:

تعدّ الكناية مظهر من مظاهر البلاغة وغاية لا يصل إليها إلا من لطُف طبعه ، وصَفَتْ قريحته ، والسرّ في بلاغتها أنّها في صور كثيرة تُعطيك الحقيقة مصحوبة بدليلها ، ومن جهة أخرى لها القدرة على تجسيم المعاني ووضعها في صور محسوسة تزخر بالحياة والحركة ولعلها من جهة أخرى الأسلوب الوحيد الذي يمكّن من التعبير عن المعاني غير المستحسنة بألفاظ لا تعافها الأذواق ولا تمجُها الآذان.

خاتمة:

نصل إلى القول: إنّ الاستعارة والكناية من أهم فنون التعبير البياني ، ومن أهمّ الأساليب التي توخّاها العرب ولجأ إليها الأدباء ، لما تحقّقانه من غايات بلاغية وأسرار جمالية ، وتجدر الإشارة إلى أنّ كلّ كناية عن نسبة هي استعارة مكنية وليس العكس ، وللتمييز بينهما يجب معرفة أنّ الكناية لا مانع فيها من إيراد المعنى الحقيقي. أمّا الاستعارة فلا يقصد بها معناها الحقيقي أبدا لوجود المانع.

مراجع:

1. أسرار البلاغة ، عبد القاهر الجرجاني ، تح/ محمد رشيد رضا ، دار الكتب العلمية ، بيروت _ لبنان ، ط 1 ، 1988 ، ص 32
2. علم البيان ، عبد العزيز عتيق ، دار النهضة العربية للطباعة والنشر ، بيروت _ لبنان ، ط 1 ، 167 ، 203.
3. البلاغة العربية_ أسسها وعلومها وفنونها _ ،عبد الرحمن حسن حبنّكة الميداني ، دار العلم _ دمشق ، الدار الشامية ، بيروت ، ط 1 ، 1996 ، ج 2 ، ص 229 ، 235.